التعايش الانساني سبيلا ازاء ثنائية الأنا والآخر
رواية (دوامة الرحيل) لناصرة السعدون
أنموذجا

أ.م.د. أريج كنعان حمودي
جامعة بغداد – كلية الآداب
قسم اللغة العربية

المقدمة :

زخرت رواية (دوامة الرحيل) لناصرة السعدون بتجسيد الصراعات النفسية والفكرية لابطال هذه الرواية وشخوصها ، والمواقف الحياتية ازاء الاخر المختلف بالدين او المذهب او الانتماء الوطني ، ولاسيما انها تعالج مرحلة خطرة من مراحل العراق بعد الاحتلال الامريكي له، وما شهده من صراعات مذهبية وانتمائية فضلا عن حالة الفوضى التي عمت البلاد في اول مراحل ذلك الاحتلال ، مما شكل ازمة مستحدثة طفت على الساحة العراقية وهي ازمة الانتماء والاختلاف الفكري والتفسير المتصادم لمفهوم الانتماء والوطنية، الامر الذي دفع بطلة الرواية الى مغادرة العراق بعد سلسلة من الانكسارات والخسارات لتنتقل للعيش الى امريكا وفقا لما اقتضته منظمة الهجرة، وهنا تصطدم بثنائية جديدة وموقف رافض للاخر المحتل الذي فرض عليها ان تكون جزءا من مجتمعه، لكن بقيت صورة الجندي المحتل هي الصورة العالقة في ذهنها مما شكل حالة اغتراب ونفرة سعت جاهدة الى مغادرتها حالما تتوافر الفرصة المناسبة لذلك ، لذا كانت تلك البلاد مكانا طاردا لها سعت لمغادرته ، اولا لما تعزز في تفكيرها من رفض لكل امريكي من وجه نظرها هو محتل وان لم يكن جنديا في ذلك الجيش، وان ابدت بعض مشاعر التعاطف والالفة مع فئات معينة، اما لكبر سنهم او لجذورهم غير الامريكية، وثاني اسباب تلك المغادرة هو الهروب من مشاعر انسانية بدأت تظهر ازاء مواطن منهم – امريكي – وان كان يبدو عليه الاختلاف الفكري مع صناع الحروب لكن يبقى الاختلاف الديني الذي يشكل هوية المواطن العربي المتبقية له خارج اسوار وطنه هي الوازع الاخير والمتبقي لذلك الانتماء الافتراضي للوطن . فكان الانتقال الاخير لمكان ثان تجد فيه السكينة والهدوء لا الانتماء والتعايش ، مكان لا يشكل وطنا لها لكنه في الوقت نفسه لا يشكل عدوا وان اختلف بطباعه ودينه ، وفي المشهد الاخير نجد غلبة المشاعر والانسانية ازاء ذلك الشاب الامريكي المختلف بالهوية والدين وكانه انتصار لأنسانية ازاء كل الاختلافات الاخرى . اذا نحن ازاء نص زاخر بتلك الصراعات والاختلافات وبثنائية الانا والاخر الذي يمكن ان يتشكل وفقا لهما واستنادا الى

ما وجدناه في هذه الرواية محورين اساسيين، الاول الاخر الذي انتمي له والاخر المرفوض لاسباب عدة ، والثاني صراع الهوية والانتماء وما يتصل به من ثنائية المكان الاليف والمعادي او الطارد والجاذب ، لتكون الهوية الانسانية هي المخلص لكل ذلك بصرف النظر عن كل الاختلافات السابقة .

من مراجعة بسيطة لتاريخ العالم القريب والبعيد منه ،نجد ادراك الشعوب التي مرت بهزات عنيفة او تغييرات جذرية على المستويات السياسية والاجتماعية ومن ثم الثقافية ، وشهدت في خضم تلك الهزات والتغييرات صراعات كبيرة وربما حروب وابادة وغيرها من اشكال تلك الصراعات ،التي ما انتهت الا بعد ان ادركت تلك الشعوب ان لا سبيل للخلاص الا بقبول الاخر المختلف بالهوية او الفكر او الانتماء ، ايا كان شكل ذلك الانتماء ومرجعيته – جنسية او اثنية او ايديولوجية – جاعلة الهوية الانسانية هي الهوية الاكبر والاسمى ازاء كل المسميات الاخرى ، وما الصراعات التي شهدتها اوروبا في القرون الوسطى او الثورة النسوية او ثورة السود في امريكا الا خير مثال يمكن ان نستعين به لبيان هذا المقصد . وليست الساحة العربية الا جزءا من هذا المشهد الكوني الذي لم يخل في كل مراحله من صراعات صغرت ام كبرت داخلية كانت ام خارجية ، ولا نريد ان نعود كثيرا الى عصر ما قبل الاسلام واحساس كل قبيلة بافضليتها على غيرها او توافر الطبقات الاجتماعية وتدني البعض منها ولاسيما من ينتمون وفقا لمصطلحاتهم الى فئة العبيد منهم ، لنصل الى العصر الاسلامي الذي مهما حاول فيه الاسلام من تشذيب وتهذيب الا ان القبلية بقيت حاضرة والعنصرية العربية مازالت هي البنية المخفية في التشكيل الاجتماعي ولم يكن لا خير لعربي على اعجمي الا بالتقوى ،غالبا حديث يردد اكثر من ان يكون نمط تعايش ومنهج حياة، فظهرت ما تسمى بالشعوبية وهي تهمة جاهزة لكل من لا ينتمي لهذه القومية، و ثنائية العرب العاربة والعرب المستعربة ومن ثم كل ما لا ينتمي لديني وجنسيتي فهو عدو، اما ان يكون مشروعا للغزو او ان يدفع جزية السكوت عنه وتركه ، بصرف النظر عن شرعية الامر لكننا نحاول البحث عن ثنائية الانا والاخر الضاربة في عمق تاريخ الشعوب اجمع ، لنصل من ثم الى مرحلة الغزوات وسقوط الدولة الاسلامية ليظهر لنا اعداء جدد منهم من دين اخر وهوية اخرى كالمغول ومنهم من جنسية اخرى ليست بالعربية وهي الدولة العثمانية التي يقال حاولت طمس الهوية العربية بسياسة التتريك والتمييز الطبقي الذي مارسته الدولة مع اصحاب الارض الاصليين ، وتمكين هذا المحتل من مقدرات الشعوب ومواردهم المادية والبشرية ، وهنا ال(نحن) المشتركون في الاثنية الدينية تصاغرت امام الهوية الوطنية ، ولم تنتهي هذه الثنائية مع دخول احتلالات اخرى بهويات متعددة جعلت كل (اخر) هو عدو مفترض وكل من يكون على صلة قريبة او بعيدة منهم، هو اخر انشق

عن الجماعة المشتركة بالهوية والدين لكن سيمثل اخرا جديدا مختلفا بالانتماء او التبعية الفكرية والعقائدية او ايا كانت مسببات هذا التواصل او اهدافه.

ولسنا في هذا البحث بصدد دراسة التاريخ بقدر التمهيد العام للجذور الموغلة في الوعي الجمعي لدى معظم الشعوب ولا سيما العربية منها التي لم تصل بعد الى ذلك الادراك الذي اشرنا اليه سابقا، بجعل الهوية الانسانية هي الهوية المشتركة الجامعة لكل الشعوب، فضلا عن النظرية التي توارثتها الاجيال العربية بان الاخر اما محتل او طامع وبعض ابناء الداخل اما خائن او عميل . وهنا نستطيع الاختلاف مع معظم الدراسات السابقة التي تناولت مفهوم الانا والاخر بجعل الانا ضمن مجموعة بشرية او اجتماعية تشترك بالهوية الوطنية او الدينية والاخر هو المخالف لها، وبنيت معظم تلك الدراسات على هذه الفرضية التي ترى ان الاخر هو " الضد ، النقيض ، المختلف ، الغريب ، اللامنتمي او العدو اذن هو ضد الانا او النقيض للانا ، او المختلف عن الانا ، او الغريب بمفهوم ما عن الانا ، او اللامنتمي بشكل من الاشكال للانا ، او عدو لها "[١] . فجاءت معظم الدراسات التي قامت على مفهوم اولي لماهية الاخر على اساس الاختلاف القائم بين الانا والاخر، استنادا الى اسس الاختلاف العقائدي او الهوية او الانتماء ، لتشتق منها ثنائية اخرى هي ال (نحن) والـ(هم) ، بمعنى ان كل ما لا ينتمي ل (نحن) فهو يقع في الحقل الثاني النقيض والمخالف وربما العدو ، اذ " اهتمت الدراسات في المحيط العربي بالآخر المختلف اثنيا او عرقيا او حضاريا او جغرافيا او دينيا ، من منطلق ان الاخر هو (ما ليس نحن) وبالتالي اغفلت الاخر (الداخلي) او الاخر ضمن الجماعة " [٢] غافلة هذه الدراسات على سبيل المثال ان " العربي المسلم الممثل للانا يمكن ان يتصارع مع العربي المسلم الممثل للآخر ، نتيجة الاختلافات التي تقوم بين مكونات الانا الجماعية ، كما ان الصراع الطبقي في المجتمع الواحد بالمفهوم الماركسي ، يمكن ان يخلق مجتمعا داخل المجتمع ، او طبقة ضمن طبقة ، او مدينة داخل مدينة ، بسبب تفاوت انماط الحياة ومستويات المعيشة ونوعية السلوك ، مما يعني ان لا وجود لانا احادية متماثلة مع انا جماعية تماثلا كاملا " [٣] وهذا المفهوم لماهية الانا والاخر يمكن ان نعده الاقرب لرؤيانا في دراسة هذا الجانب باعتماد فكرة الانا المنفردة التي لا تتطابق مع غيرها وان اشتركت معه بسمات ومرجعيات عدة ، في حين يمكن ان نضع تعريفا للآخر مبسطا مفاده ،هو كل ما ليس (انا) بصرف النظر عن توافر تلك المرجعيات او المشتركات ام عدم توافرها، واتسامه بالمختلف الكلي . واستنادا الى الفرضية السابقة سنعمد الى دراسة الرواية موضع الدرس وفقا لها ، لذا ستكون الانا هي الشخصية الرئيسة التي تسرد او يتمحور العمل حولها وعلاقة هذه الانا مع الاخر سواء اكان الاخر المختلف الجزئي ضمن محور او محيط الـ(نحن) بشقيه المشابه والمختلف ، ام كان الاخر

المختلف الكلي (هم) الذي وجدنا انه تشكل وفقا لاتجاهين، المحايد و العدو، فضلا عن التحولات التي ستغير المواقع وتغير المفاهيم وفقا لتغير سياق الاحداث والانعكاسات النفسية والفكرية التي ستترتب عليها ، بمعنى تحولات الاخر من اخر مختلف كلي الى جزئي او من عدو الى محايد ، والعكس صحيح وفقا لاختلاف رؤيا الانا وتكون الذات الواعية والمدركة وفقا لمستجدات اللحظة المعاشة او الفضاء السردي المتغير في هذه الرواية " ولعل مصطلح الفضاء space أكثر دقة ، فيما يخص تناولنا هنا ، من مصطلح المكان place . فاذا كان المصطلح الثاني يعني المكان الذي تجري فيه الاحداث location ، فان المقصود بالمصطلح الاول هو المكان وكيفية ادراكه من طرف الشخصيات في السرد " [٤]

سنحاول في بحثنا هذا تتبع هذه الثنائيات من خلال استقراء الرواية والوقوف على ما جاء فيها من اشارات صريحة ومضمنة، سنحاول تحليل المضمر منها وبيان ابعاده .

فكرة الرواية وسيميائية العتبات :

تدور احداث رواية (دوامة الرحيل) لناصرة السعدون الصادرة في عام ٢٠١٤ عن أنموذج لأسرة عراقية والاحداث التي تعرضت لها بعد احتلال العراق من قبل الامريكان ، لتستعرض الروائية ومن خلال السارد كلي العلم هنا تفاصيل كثيرة تمت للسرد الواقعي بصلة كبيرة من خلال ربط الاحداث بتواريخها واماكنها والوقوف على وقائع حقيقية شهدها العراق عامة وبغداد خاصة بأعقاب هذا الاحتلال وعمليات السلب والنهب والحرق التي تعرضت لها الكثير من الاماكن منها على سبيل المثال لا الحصر حرق دار الكتب والوثائق العراقية التي وجدنا اشارة لها في هذه الرواية [٥]، وغيرها من الاحداث من خلال تقنية السرد مرة، من ذلك : " دخلت دبابات امريكا لتشوه وجه بغداد ، قبع الجميع في دورهم حائرين ، خائفين ، لا يعرف احدهم ما يجب عمله ، فهم مدنيون تواجههم قوة عسكرية غاشمة ، بخاصة بعدما قررت قوات الاحتلال حل الجيش والشرطة ، فلم يعد ثمة نظام ، سوى نظام فوضى ..."[٦]، او ما جاء على لسان شخوص هذه الرواية من ذلك قول (باسل) : " اي مشوار ؟ انا اقوم به .. لا اريد ان تقودي سيارتك في بغداد .. فالمخاطر عديدة .. انفجارات ، ولصوص سيارات قد يقتلونك لسرقة السيارة .." [٧] ، فيتداخل هنا الحدث العام مع الحدث الخاص الذي يمثل أنموذجا لما تعرضت له بعض شرائح هذا المجتمع عقب هذه الاحداث ، اي اننا ازاء " قراءة تفسيرية في ضوء مبادئ التاريخانية الجديدة ، يمكن تلخيصها في مقولة مبسطة هي : الغاء سلطة النص الادبي ، ورفض استقلاليته عن القوى التاريخانية والثقافية التي انتجته من جهة ، وعن الخطابات الادبية وغير الادبية ، التي انتجتها ايضا القوى التاريخية " [٨]. اي التأكيد على العلاقة التبادلية بين المبنى الحكائي والمتن الذي استندت اليه وانطلقت منه احداث تلك الرواية ، بمعنى ان دور الروائي هنا هو الربط بين الواقعي والمتخيل ، متجسدا ذلك الواقعي

بالاحداث والوقائع التي شهدها البلد منذ اللحظات الاولى لاحتلاله وما مر به بعض العراقيين من احداث اعقبته وتناقلته وسائل الاعلام او الاحاديث المتناقلة على لسان من شهد وعايش تلك الاحداث وشخوصها ، اما المتخيل فهو تجسيد تلك الاحداث من خلال الاسرة التي بنتها الروائية وقدمتها للمتلقي العربي أنموذجا لما عانى منه ابناء هذا البلد على يد المحتل اولا، وعلى يد اخوانهم وشركائهم في هذا البلد ثانيا ، كلا وفقا لدوافعه واسبابه .

المبنى الحكائي هنا يدور حول اسرة ذات مستوى علمي واجتماعي واقتصادي ، يتضح من خلال الاشارات والتصريحات المتخمة في هذا العمل ، الشخصية الرئيسة فيها هي البنت (اباء) الطالبة المجتهدة في كلية الهندسة بجامعة بغداد قسم الهندسة المعمارية " كانت تعيش حياتها لاهية عن هموم الدنيا ومسؤولياتها . لا هم لها سوى الاجتهاد في دراستها والتخرج من كلية الهندسة القسم المعماري بتفوق متوقع "[٩] ،التي تنتمي لعائلة المهندس قيس السالم مدير احد المصانع الحكومية الكبرى في بغداد الذي تعرض لمحاولة السلب والنهب مع اولى ايام الاحتلال لكنه لم يستطع الا الدفاع عن ذلك المصنع وما سلمه الا مع قدوم القوات الامريكية ظنا منه انهم جاءوا لحماية هذه المنشئة الحكومية المهمة لكنهم اعتقلوا قيس السالم وكل من كان معه بحجة مقاومة القوات ليتعرض للتعذيب والاهانة [١٠] . ويتضح انه احد ضحايا سجن ابي غريب الذين انتشرت صورهم بمواقع عدة، ليسلم فيما بعد جثة ممزقة لأهله [١١]، والام (ردينة) الطبيبة في مستشفى مدينة الطب والتدريسية في كلية الطب جامعة بغداد، وتمتلك عيادة في منطقة (الثورة) سابقا او (مدينة الصدر) حاليا ، لكن هذه الطبيبة تفصل من عملها بحجة اجتثاث البعث على الرغم من انها لم تكن منتمية لهذا الحزب، وتفصل من عملها في المستشفى، واخيرا تسلب منها سكرتيرتها الجاهلة عيادتها وسيارتها بمساعدة مسلحين ارغموها على توقيع ورقة التنازل مقابل اطلاق سراحها وعدم قتلها . اما (بارق) فهو الشقيق الوحيد لها وهو طالب في كلية الطب في سنته الاخيرة فيها ، الذي خطف يوم استلامه لشهادته وسلبت سيارته وطلب الخاطفون فدية لأطلاق سراحه الا انهم استلموه جثة رميت امامهم ، مما ادى الى انهيار الام واصابتها بجلطة دماغية جعلتها لأيام عدة في حالة غيبوبة افاقت بعدها مشلولة عن الحركة والكلام ، اما (اباء) فأصيبت بانهيار نفسي اضطر (باسل) ابن عمتها الطبيب الى تهدئتها بالأبر، فضلا عن انهيار صورة الحبيب المتمثلة بـ(منير) زميل الدراسة الذي ينتمي الى طبقة اجتماعية اقل منها وتهربه منها بعد ما جرى لأبيها بحجة انتمائها لعائلة اتهمت بالأرهاب ووقوفه مع من تسيد الجامعات من مسلحين ومتنفذين في السلطة الجديدة. كل هذه الاحداث التي جرت على المستوى الشخصي التي رافقتها احداث جسام على المستوى العام من انفجارات واعتقالات واغتيالات وانهيار الدولة وتسيد المسلحين في شوارع بغداد والامريكان وما فعلوه من ترويع وتقتيل ،هو ما دفع

(اباء) بعد ان استعادت رباطة جأشها الى ان تقرر مغادرة البلد حالما تحصلت على شهادتها ، وبحجة استكمال علاج امها في عمان ، لتبدأ بعدها سلسلة من الانتقالات والتشتت في دول عدة ابتداء من عمان المحطة الاولى ومن ثم الى امريكا التي فرضت عليها من قبل هيئة الهجرة مع كل ما تكنه لها من بغض وعدم تعايش بسبب صورة الامريكي المحتل وما رافق ذلك الاحتلال ولاسيما على المستوى الشخصي ، لذا كان الانتقال الاخير الى نيوزيلاند ، لتكون فيها اكثر هدوءا نفسيا وتحقق قدرتها على التعايش الى حد ما ،وان تحقق لها ذلك ما زالت ليست وطنا لها ، من هنا نستشف علاقة العنوان الموضوع لهذه الرواية ومضمونها او المبنى الذي قامت عليه ، فهي في حالة انتقال مستمر وغير مستقر ونزاع نفسي ازاء تلك الانتقالات بين وطن تنتمي له واخر لم يكن الا محطة انتقال وثالث اجبرت عليه وأخير أتخذته مهربا من ارض تذكرها بكل ما فقدت وبمن فقدت بسبب ما جروه على بلادها وعليها من ويلات . والعتبات اصبحت جزءا من مبنى النص اذ لم تكتف الروائية بالعنوان عتبة لعملها انما استهلت العمل بعتبة الاهداء التي جاء فيها "إلى بغداد التي رحلنا عنها ، وبقيت مزروعة في اعماقنا " وهنا تداخل واضح بين التجربة الحقيقية لصانعة العمل والنص السردي الذي انتجته وتداخل الذاتي بالخطاب السردي ، مع ما يمكن ان نستشفه من هذه العتبة من حضور الوطن في ذوات المغتربين قسرا ذلك الحضور الذي شكل دوامة لهم تجرهم الى الحنين وتوحي بالانتماء الفكري والعاطفي ببلادهم وهي ازمة الانا المغتربة المتجسدة هنا في شخصية (اباء) ، وتستمر العتبات على مدار الرواية اذ استهلت الرواية الاجزاء الخمسة عشرة منها بمقاطع من نصوص لشعراء عراقيين كل منهم نظم وكتب عن الغربة والاغتراب والحنين وازمة الذات الانسانية عامة والعراقية بشكل خاص ، واختيار هذه النصوص مع ما فيها من علاقة واضحة مع مضمون الجزء الذي استهلت به ، الا انها تتم في الوقت نفسه لتعدد شعراءها واختلاف حقبهم، وأن اشتركوا جميعا بانهم شعراء ما بعد حركة الشعر الحديث اي ممن عاصروا احداث العراق في القرن العشرين وما بعده ، وبرز لديهم مضمون الغربة والاغتراب بشكل واضح، والانعكاس المباشر لواقع الازمات السياسية والاجتماعية في شعرهم ، لذا جاء توظيف شعرهم هنا بما يتوافق مع مضمون اجزاء الرواية الخمس عشرة ، منها على سبيل المثال لا الحصر عتبة الجزء الاول التي اوردت فيها جزءا من قصيدة عبد الرزاق عبد الواحد التي جاء فيها " يا سيدي .. \ يا عراق الارض .. ايا وطني \ يا زهو عمري مذ رنت جلاجيلي "[١٢]، اذ جاءت هذه العتبة المقتبسة من نص الشاعر العراقي وهي تخاطب العراق بصيغة النداء وتفيد من اثبات هويتها وانتمائها له بحرف التملك الياء مؤكدة الهوية العراقية والانتماء لهذا الوطن، الذي ما عرفت غيره منذ ان ابصرت الحياة مستفيدة من دلالة الجناجيل وهي الحلية التي توضع في ارجل الاطفال ، هذه العتبة المؤكدة على

الهوية والانتماء جاءت متوافقة مع مضمون هذا الجزء الاول من الرواية الذي استهل بيوم الاستعداد للرحيل مفتتحا لهذا الجزء ، وسرد تفصيلات الرحلة التي نقلتهم الى المنفى الاول عمان وتوديع ما مروا به من معالم بغداد ، لكن ستكون هذه الرحلة التي اتخذت ساعات طويلة مناسبة لاسترجاع اباء بطرقة الفلاش باك ما حل ببلادها وبعض ما تعرضت له اسرتها الصغيرة من احداث في الايام الاولى من ذلك الاحتلال . لكن تتصاعد الاحداث وتتسارع وتختزل الى حد ما في الجزء الثاني من هذه الرواية التي استهلت بعتبة نصية لجزء من نص الشاعر حميد سعيد التي يقول فيها " ما يشبه الخراب ..\بل هو الخراب \الموت في انتظار كل حي \عن كل باب \الا فرق بين ميتة وميتة ،\بين مقتول ومقتول ،\قد تختلف الاسباب "[١٣]. هذه العتبة جاءت نصا مكثفا وموجزا ومعبرة بطريقة عالية التاثير والانفعال والقرب من الاحداث التي جاء بها هذا الجزء الذي سنجد فيه مقتل باقر والاب وانهيار الام وفقدها لوظيفتها وعيادتها كما اشرنا سابقا ليختم بقتل الابن وانهيار اباء ازاء كل هذه الاحداث ، لذا تعددت اساب الموت كما جاء في العتبة ولا فرق بين مقتول حي ومقتول ميت . وهكذا تستمر الرواية في توظيف هذه العتبات التي ما جاءت الا لتوافق مضمونها مع الجزء الذي جاءت مفتتحا لها ، وصولا الى الجزء الاخير الذي استهل بعتبة ايضا مقتبسة من الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد التي جاء فيها " انت احببته هكذا \نصفه في التراب \نصفه في السحاب \غارقا في الهوى \غارقا في العذاب \موغلا في الضباب \الا تقيسي به احدا \ لا تقيسيه في احدا\هو لا يشبه لا احدا غير نفسه " [١٤]. هذه العتبة التي تبين ثنائية الذات الانسانية بين السمو والضعة ، ضائعا بين الانتماء والتسامي عن هذه الانتماءات ، ضبابية الرؤية ووضوح حقيقة ان لا احد يشبه الاخر ، كل منا هو انا مستقلة لا تشبه غيرها . لذا جاء السطر الاول ليقول (انت احببته هكذا) اي بكل اختلافاته ،جاءت هذه العتبة التي تبدو اكثر سكونا وقبولا للأخر المختلف جاءت متوافقة مع الجزء الاخير الذي يتحدث عن خروج الشخصية المركزية من امريكا رفضا لهذا البلد وهروبا من حب لشخص يختلف عنها بالهوية والانتماء والجنسية والدين، وفي قبوله للأخر على الرغم من اختلاف هذا الاخر عنه ، لكن يشترك معها في توجهاته الانسانية وفي عواطفه تجاه هذه الغريبة المسلمة ، تدفع به هذه العاطفة الى تعلم تعاليم الاسلام، وقراءة القران، من دون اعتراف واضح بأسلامه ، ليرحل بعدها الى نيوزيلندا بحثا عنها ، وقبولها له بمشهد تغلبت فيه العاطفة على كل معايير الاختلاف تلك ، " .. اذهب لماما ، فان وافقت ، انتظرني في بيتنا ، حدقت في عينيه ، واردفت بتصميم حزين ، : وان رفضت ، اختنقت بدموعها ، وغمغمت : .. لا اريد رؤيتك مرة ثانية ..... ثم لاحت لعينيها ابتسامة لينك ايستوود المليئة بأمل يعدها بحياة جديدة لا تقطع اواصرها مع اهلها ووطنها . وسارت بخطوات واثقة الى عملها وقد لاحت على

محياها ابتسامة جديدة ، لم يرها احد من زملائها من قبل "[١٥] ، لذا اشرنا الى اجادة الروائية في توظيف تلك العتبات وجعلها نصا موازيا ومكثفا ، ومنسجما مع مضمون النص .

الانا وتحولاتها :

تتمثل الانا في هذه الرواية بشخصية (إباء) بشكل مطلق ، بوصفها الشخصية المركزية اولا، وبوصف السرد قائم كله الى حد كبير على وعي هذه الشخصية وادراكها للأحداث والانعكاسات النفسية والسلوكية المترتبة ازاء كل ذلك ، مما يجعل منها وفقا لمفهوم بعض النقاد والدارسين ومنهم عفاف البطانية ، ذاتا مدركة ، متفاعلة ومنفعلة ومتغيرة وفقا لتغير مسار الاحداث ، او ما اطلقت عليها الناقدة الانا المتعددة ، إذ ان " علاقة هذين المستويين بعضهما بعضا (علاقة الانا بالذات) تتضح في الاغلب ، من خلال وصف الحالة النفسية للشخصية ، او من خلال المنولوجات ، او من حتى الاوصاف التي تسقطها شخصية من شخصيات الرواية على الشخصية موضع التحليل ، وبالتالي فان (الانا) تحتمل التعددية بحكم فنية العمل الروائي . وهذا التمييز بين الانا والذات عادة ما يظهر الى السطح في ضوء التحولات الزمنية او النفسية او الفكرية او اللغوية للانا " [١٦] واستنادا الى تشكل هذه الذات وفقا للمعطيات السابقة تتحدد علاقتها مع الاخر ومفهومه لديها، وتحولاته ، اذ " تغير العلاقة بين الانا والذات تعني بالضرورة تغيرا في رؤية الاخر او تصوره ، من هنا ، فان تحليل الانا، قبل الاخر، في ازمنها السردية بين الماضي والحاضر والمستقبل ، يمكن ان تسهل علينا فهم صورة الانا من جانب ، وعلاقة تلك الانا بالآخر من جانب اخر" [١٧].

واستنادا الى ما سبق يمكن ان ندرج (إباء) ضمن هذا المفهوم ، اي الانا المتعددة ، بفعل التحولات الكثيرة والمتغيرة التي مرت بها ، التي يمكن معرفتها بتتبع تحولاتها عبر المراحل الزمانية التي مرت بها ، اذ يمكن ان نقسم الرواية وفقا لهذه الشخصية والاحداث التي مرت عليها الرواية مرورا سريعا احيانا او مستفيضا ومفصلا في احيان اخر ، الى مراحل ثلاث، وهي الماضي سواء اكان الماضي البعيد او القريب، الذي لم يتجاوز اكثر من جزئين في هذا العمل اعني بهما الاول والثاني، والحاضر الذي شغل معظم الرواية وصولا الى نهايات الجزء الاخير ، اي الخامس عشر ، الذي فتح النص لمستقبل ترك للمتلقي لان يتصور القادم منه، وفقا لمعطيات الاشارات الواردة فيه .مع ملاحظة ان معظم تحولات هذه الانا تحققت في الجزئين الاولين الذين شكلا بواعث هذه التحولات وهكيلة هذه الشخصية وتغيراتها، وفقا لكل المتغيرات الظرفية والنفسية التي اختزلت فيهما ، لكن مع وجود ثوابت اصبحت لازمة في هذه الانا وجزءا من الهوية القارة عندها سواء اكانت القومية ام الدينية ، اذ ان " التمسك بهوية ما ينبع من قلق وجودي ما ، وغالبا ما يتخذ هذا القلق الوجودي بعدا سياسيا "[١٨] (هذا التخبط الوجودي الذي انتجته صدمة الاحتلال وما اعقبه كما اشرنا سابقا

من احداث على المستوى العام والخاص ، ادى الى " تخبط هويتي ، واضطراب نفسي جماعي ، مؤسس على اليات دفاعية بدائية ، ومحاولات الذات الجماعية التصالح مع الجوانب الاقل اشراقا من تاريخها وهويتها ، ... الانهيار المروع لبنيان مجتمعي تام والفقدان الصدمي الصاعق لمرتكزات الهوية الشخصية والجمعية من ارض وعلاقات وذكريات ارخيا ظلالهما على سرد وفهم هذا التاريخ "[١٩] إن عملية تحديد الهوية عملية حيوية تتوقف نتيجتها على شكل العوامل المتعلقة بالماضي والحاضر والمستقبل ونوعها ، وأشار (اركسون) الى وجود اربعة جوانب رئيسة للأحساس بالهوية هي [٢٠] :

١. الفردية : وتعني التشخيص او إدراك وعي الفرد بذاته وكشخص له استقلاله الذاتي.
٢. التكامل : يحوي البناء النفسي الكثير من تناقضات فمن اجل تحقيق النمو السوي ، لابد من خلق وحدة كلية من هذه العناصر ، مع ان بعضها يناقض بعضا ، وذلك من خلال خفض حدة هذا التناقض وقبوله كسمة واقعية .
٣. التماثل والاستمرارية : ويشمل ارتباط الماضي بالحاضر الممهد للمستقبل بحيث يشعر الفرد ان الحياة التي يعيشها ملائمة له وانه يسير في اتجاه معين .
٤. التماسك الاجتماعي : ويعني احساس الفرد الداخلي بالقيم والعادات السائدة في مجتمعه ، وتمسكه بها ووعيه بدعم المجتمع له ، لتحقيق هذا التماسك ، بعبارة اخرى ، ادراك الفرد ووعيه بكيانه ، بوصفه ذاتا فاعلة في مجتمع ، تستمد منه في الوقت نفسه قيمها ودعمها .

هذا الاحساس بالهوية والانتماء وغيرهما ، لم يكن واضحا في المراحل الاولى –اي ما اطلقنا عليه الماضي البعيد – من حياة هذه الشخصية، ربما لعدم استشعارها بأزمة الاختلاف او ازمة الوجود، وتبعات الانتماء غير المختارة مسبقا بالنسبة لها هو ما شكل ذلك ، فضلا عن انتمائها لأسرة يتضح من بعض الاشارات الواردة في هذا النص انفتاحها على ثقافات متعددة وقبولها للأخر المختلف عنها وتعاملها معه وفقا لمعطيات انسانية اولا ومهنية ثانيا ، لذا لم تكن من الملامح الجوهرية الواضحة على السطح في البيئة الحاضنة لهذه الانا ، لذا لم نجد اي اهتمامات او ملامح تخندق هوياتي او انتمائي يظهر لديها في هذه المرحلة ، واكتفى السارد هنا بالأشارة الى كليتها وتفوقها وملامح علاقتها الودودة مع ابيها ، ونقاشاتهما في الفن والهندسة، بحكم تخصص الاب واهتمام اباء ودراستها " كانت تعيش حياتها لاهية عن هموم الدنيا ومسؤولياتها . لا هم لها سوى الاجتهاد في دراستها والتخرج من كلية الهندسة القسم المعماري بتفوق متوقع "[٢١]، فضلا عن ملامح تلك العاطفة التي تكنها لزميلها (منير) المنافس لها في الدراسة ، من دون ضغينة منها مستشعرة بان تفوقه لا يسلبها تفوقها هي" لا ينافسها على الموقع الاول سوى زميلها منير.. منير عبد المجيد ،

زميلها منذ الصف الاول في الجامعة ، ان شغل الموقع الاول في العام الاول ، فقد غلبته في العام التالي . كان التحدي بينهما هو ما الهب عواطفهما " [٢٢] ، من دون ان تنتبه الى الاختلافات الطائفية او الطبقية فضلا عن المادية التي تفصل بينهما ، " في نهاية المرحلة الثالثة كانت هي المتفوقة ، فأهداها منير ساعة يد بسيطة . لبستها فورا وهي تضحك ... يومذاك عادت الى الدار لتجد ان هدية والدها هي ساعة ذهبية ، (للمعمارية الصغيرة) كما قال لها . لم تتردد في القول :٠ بل ارجو ان تحتفظ بها لتكون هدية تخرجي . اما هذا العام فلن اضع غير هذه الساعة البسيطة التي اهداني اياها زملائي في الصف) . واحترم والدها قرارها ، وظلت ساعة منير تزين معصمها . واقتربا من تحقيق الحلم ، اذ هما في المرحلة شبه النهائية ، وبعدها التخرج ، والعمل ، .. ومن ثم تحقيق الحلم ببيت صغير من تصميمهما معا ، يعيشان فيه معا ..حكى لها منير عن صعوبة ظروفه المالية والعائلية ، لكنهما تعاهدا على الانتظار لحين الوقت المناسب " [٢٣] ونحن ندرك على الرغم مما اشرنا اليه سابقا من ان ازدياد الاحساس بالهوية يكون مع استشعار الازمة الوجودية ، الا ان من البديهي ان ينتمي الفرد الى جماعة ما ، قد تكون عقيدة دينية او مذهبا او طائفة او حزبا سياسيا ، بيد ان تعدد الانتماءات ليس بالضرورة ان يكون هناك تناقض او خلل ، كما انه لا يعني ان يلغي احدهما الاخر ، فنحن امام قضيتين متمايزتين في هذا الشأن ، " الاولى هي الاعتراف بان الهويات ذات بنية تعددية متينة ، وان اهمية هوية واحدة لا تتطلب بالضرورة محو اهمية الاخريات ، ، والثانية انه لا بد للشخص ان يقر على نحو صريح او ضمني اختباراته فيما يتعلق بالأهمية النسبية لانضمامه في سياق معين "[٢٤].

لكن هذه الانا تتغير وتتخذ مسارا مختلفا بعد كل الاحداث التي مرت بها ضمن ما اطلقنا عليه الماضي القريب ، اي الذي عايشت فيه احداث الاحتلال وما تبعه من فوضى وخراب وبعد مقتل الاب على يد الامريكان ومقتل الاخ بعد سرقة سيارته، وفقد الام لوظيفتها وعيادتها بالطريقة التي اشرنا اليها سابقا ، مما سلب من هذه الشخصية احساس الانتماء والوطن والبيت، الذي يفترض ان يكونوا مصدرا للسكينة والامان ، ما نتج عنه تغييرات وتحولات جذرية في تلك الذات بعد ادراك عظيم ما مرت به ، وان الوطن اصبح مكانا طاردا لأبنائه ، لذا آثرت الرحيل عنه متخذة هذا القرار الذي ينم عن تلك التغييرات في هذه الذات ، التي نجد الاشارة الواضحة عليها في السرد المتداخل مع المنلوج الداخلي للشخصية، مستغلة طول المسافة بين بغداد وعمان " اتكأت إباء على مقعدها ، واغمضت عينيها ، هل يمكن ان تنقلب حياة المرء في بضعة اشهر وتموت كل آماله ، وتتغير كل افكاره وقيمه ؟ نعم لقد تغيرت ..تغيرت كثيرا . الانسان مخلوق متغير .. متغير بكل ما فيه ، يبدأ طفلا عالمه الوحيد غرفته وشخصان او ثلاثة ، ثم يتسع هذا العالم ويتسع ، حتى

يشمل العالم كله ، وتتغير مشاعر المرء وتتحول . رغباته تتحول ، مسببات قلقه تتقلب ، مخاوفه تزول او تتضاعف ، مشاغله تتنقل من نمط الى اخر ، وهكذا يتحول كل ما في اعماقه ، كله يتغير"[٢٥]. لنجد بعد عدة اسطر وقفة سردية تتسم بالوصفية يحاول فيها السارد ان يسبر الاغوار ليصل الى الاسباب التي ادت الى هذه التغييرات الواضحة في شخصية الانا هنا ، التي اكسبتها من ثم سمة الذاتية وفقا للمفهوم الذي تواضعنا عليه ، اذا نقرأ " من اين جاءت بهذه القوة لتجابه اقاربها ، وهي التي تعودت طوال حياتها على وجود من يتخذ القرار نيابة عنها ، بعضهم وصفه بنضج شخصيتها بعد الرزايا التي حلت بها . ربما هو النضج . اية مرحلة يمكن عدها مرحلة النضج ؟ حين تبدأ قرارات امرء تكون مقبولة للآخرين وللمجتمع ، او حين يكون قادرا على فرض القبول بها على الآخرين ؟ صور عديدة دارت في ذهنها من دون غاية او ترتيب . بعضها يمر سريعا ، وبعضها الاخر يتأنى ."[٢٦] وفضلا عن النضج والحسم باتخاذ القرارات ، نلمح تغيرا اخر في هذه الشخصية متمثلا بالانعزال والانطوائية ، وعدم القدرة على التعامل مع الاخر او الرغبة في ذلك ، لا بل تصل الى حد الرفض ، ولاسيما ذلك الاخر المتمثل بالمجتمع الامريكي الذي انتقلت اليه بعد محطة الاستراحة والعلاج في عمان ، وكان حتى اتخاذها لمظهرها الخارجي يدل على الرغبة بالاختلاف ، ويمثل شكلا من اشكال الطرق الدفاعية ازاء هذا المجتمع الغريب عنها اولا، والذي يشكل في الوقت نفسه العدو الذي اجبرت على العيش ضمنه ، لكن من دون تعايش او انسجام نفسي او فكري ، " لقد تغيرت ، إذ كانت اول من يسعى للتعرف على الوجوه الجديدة في المدرسة والجامعة ، وتنشط في جميع الفعاليات الاجتماعية والثقافية والرياضية ، وفي كثير من الاحيان تكون هي لولب الحركة ومصدرها. والان صارت تتحاشى كل ما حولها وكل من حولها وتسير من دون النظر لما يحيط بها ، ومن يحيط بها . لم تعد ترغب برؤية الاخرين ، وتتمنى لو كانت على بعد الاف الاميال من هذا المكان الذي فرض عليها . كما اختفت الابتسامة التي كانت تميز ملامحها ، وحل محلها عبوس دائم ونظرة مترفعة عما حولها "[٢٧] . واستكمالا لهذا النمط الجديد من الحياة التي اختارت التعاطي معها بحذر وبانزواء ، عمدت لاستكمال ما تحاول رسمه لشخصيتها الجديدة او فرضه على الاخرين هربا او دفاعا ، او ربما زهدا بهذه الحياة ومباهجها التي اختفت يوم اختفاء ابيها واخيها ، لذا " شعرها فاحم السواد ، تربط خصلاته الى الوراء بصرامة ، تمعن بملامحها العبوس ... نظر الى قامتها المديدة ، وثيابها السود الفضفاضة . زادت رغبته في معرفة ما تخفيه هذه الثياب الفضفاضة "[٢٨] اذا تمسك (إباء) بوصفها انموذجا للفرد العراقي ازاء هذه المتغيرات الظرفية / ما كان الا تنظيم داخلي للحاجات والدوافع والقدرات الذاتية ، فضلا عن الوضع الاجتماعي والسياسي للفرد ، وكلما كان هذا التنظيم على درجة جيدة ،

اصبح الفرد اكثر ادراكا لنقاط قوته وضعفه ، واكثر وعيا وثقة ، اما اذا لم يكن التنظيم على درجة جيدة ، فسيكون الفرد اكثر التباسا فيما يتعلق باختلافه عن الاخرين ، وهذا ما يدفعه الى درجة الاعتماد على غيره لتقدير ذاته ، كما ينعدم الاتصال بين الماضي والحاضر والمستقبل بالنسبة له ، فتضمر شخصيته ، ويفقد قدرته ، ثم ينعزل عن الحياة والمجتمع وهو ما يعرف بأزمة الهوية [٢٩] اما التغير الاخير الذي وجناه على شخصية (الانا) اباء فكان بعد انتقالها وامها الى نيوزيلندا ، اذ بدت اكثر هدوءا وانسجامها في هذا البلد واكثر انفتاحا على الاخر شريك العمل او الصديق الجديد ، وقد يعود ذلك بوصف هذا المكان واهله لا يمثلون بالنسبة لها مجتمعا معاديا او ترك انطباعات مبنية على تجارب تاريخية سابقة معه تركت اثرا مضادا في ذاتها ، لذا بدت شكلا ومضمونا اكثر انسجاما وتعايشا في هذا البلد الجديد ، الذي يمثل لنا المستقبل الذي اشرنا اليه سابقا ، اذ" بعد مرور اقل من شهر على مباشرة العمل تخلصت اباء من خجلها وتهيبها ، وتفتحت قدراتها ، وبدأت تجرؤ على طرح افكارها في التصميم والتخطيط وابتكار الجديد . وتوثقت علاقاتها مع زملائها " [٣٠] . ويتجسد هذا الاختلاف بشكل اكثر وضوحا في تلك الوقفة الوصفية التي جاء فيها " ثمة اختلاف لم يدرك ماهيته للوهلة الاولى ، ملابسها انيقة وبسيطة ، وتختلف عما كانت ترتديه في دنفر . لم تعد ترتدي السواد ، ولا الملابس الفضفاضة . حتى مشيتها صارت تختلف . تسير بخطى وئيدة واثقة من نفسها ، من دون التحدي الذي امتازت به في دنفر ، لكن الاختلاف الاكثر اهمية هو النحول البادي عليها ، حتى بدت عيناها اكبر مما كانتا عليه حين رآها لأول مرة "[٣١] . وسعة العين هنا والنحول لا نستطيع ان نفسرهما الا بسبب الحزن الذي يلازمها ، لكن هذه المرة لأسباب مختلفة ، منها ما لمحت به الام من دون تصريح في تلك الرسالة الالكترونية التب بعثت بها الى (لينك) التي جاء فيها " صديقي ،ر بما كان لأباء اسباب دفعتها لتغيير رقم هاتفها ، ولا اعرف ان كانت ترغب بأتصالك بها ام لا في الوقت الحاضر ، .... من ناحية ثانية وبالرغم من الابتسامة الدائمة على وجهها ، الا ان ثمة حزنا يشع من عينيها ، ولا تلوح الابتسامة فيهما ، لا ادري ما الاستنتاج الذي تتوصل اليه من هذه المعلومات ..."[٣٢]. والاشارية الموجودة هنا نستطيع ان نتفهما ما ان نعود الى صفحات قليلة الى الوراء ، لنستشف منها ان الاختيار والدوامة التي مرت بها اباء بين ما يقوله عقلها وذاتها الرافضة لهذا الاخر بكل ما يمثله امامها والعاطفة التي تستشعرها ازاءه ، وترجيحها الهرب وكأنها تنتصر لعقلها وتمنع ذاتها من هذه العاطفة التي ما تراها الا ضعفا وخيانة لذكرى من فقدت :" .. كنت قاسية مع نفسي اكثر من قسوتي معه ، لأني لم ارض لنفسي ان احب امريكيا . ثم اكتشفت انه يحمل جنسية كندا . ومع ذلك حاولت صده . حاولت ابعاده عني.. وحاولت الابتعاد عنه . لكن كلما اشتدت قسوتي عليه ، كان يزداد

اصرارا على التقرب مني بتصرفات صغيرة قد لا يلحظها احد وفي كل مرة ازداد اصرارا على النأي عنه.."[٣٣]. لكن كما اشرنا سابقا فان هذا الرفض يختفي في الجزء الاخير من هذه الرواية ، ويفتح لمستقبل جديد لهذه الشخصية اكثر انفتاحا وتقبلا لهذا الاخر المختلف ، مما يوحي بمستقبل يحمل معه لهذه الذات سلاما داخلي ، بأدراكها اخيرا لوجود مشتركات مع هذا المختلف لعل اهما الجانب الانساني والعاطفي، وليس اقل شأنا منها التقارب الفكري والموقف الموحد ازاء العدوان الامريكي على العراق ، او تقبله للديانة الاسلامية وقراءته للقران وتعاليم الاسلام ، مما يوحي بالوصول الى مشتركات تقارب بين هذين القطبين المختلفين .

الاخر وتحولاته : ذكرنا سابقا اننا لا يمكن ان نحصر (الاخر) بالمختلف الكلي ، الذي يختلف بالهوية والانتماء والجنس واللون والقومية والدين ، اي ما يمكن ان يحصر ضمن منظومة الـ (هم) ، انما كل ما هو خارج الانا يمكن ان يعد اخرا ، لعدم تطابق الذات الانسانية مع ما سواها وان اشتركت بالمسميات السابقة ، فلكل ذات سماتها التي تختلف فيها عن الاخر بشكل كلي او جزئي ، لذا اثرنا في هذا الجزء ان نقسم الاخر على قسميين او منحيين ، الاول الاخر ضمن منظومة الـ(نحن) سواء اكان المشترك ام المختلف ، والثاني هو الاخر ضمن منظومة الـ(هم) وايضا يتخذ منحيين ، المحايد او المعادي ، وجاء هذا التقسيم وفقا لاستقراء النص وتتبع شخوصه ، لذا قسم استنادا لهذه القراءة . وهذه المناحي والجزئيات انما تتحدد استنادا الى موقف الانا ، والتجارب التاريخانية او الفكرية او الاسقاطات الذاتية التي تتخذها تلك الذات ازاءها .

اولا : الاخر ضمن منظومة ال (نحن)

اشرنا سابقا ان كل ما يقع خارج الذات او الانا يمكن ان يدرج ضمن منظومة الاخر ، واول اشكال الاخر التي نجدها في هذه الرواية هي الاخر (نحن) الذي توزع على منحيين نحن المشترك والمختلف . ومبعث الاشتراك والاختلاف هنا يتحقق بفعل التلاقي الفكري والنفسي والموقف المؤازر والمساند للانا ، بما يحقق التواصل والتقارب الهوياتي مع الذات ، او العكس ، وقد زخرت الرواية بهذين المنحيين ، بشكل واضح من خلال السرد او الحوار او ما يستشف منهما . ووقوفنا الاول سيكون مع الاخر المشترك ضمن هذه المنظومة ، اذ تعددت الشخصيات التي كان لها ور واضح هنا ، سواء ما كان حضورها واسعا ام مرت سريعا ، اذا بصرف النظر عن الاب الذي لم يكن حاضرا الا ضمن الفلاش باك او بوصفه مادة لسرد احداث لم يكن حاضرا فعلا بها ، فضلا عن الام التي استمر حضورها على مدار الرواية ساندا احيانا او مستندا الى الشخصية المركزية بفعل انقلاب الادوار ، بفعل تلك التحولات التي مرت بها الانا المتمثلة بأباء كما اشرنا الى ذلك ، نجد عددا من الشخصيات الاخرى المتقاربة مع الانا ، الساندة والمشتركة معها ولعل ابرزها واكثرها حضورا هو (باسل)

ابن عمتها المقرب من العائلة والساند لها وقت الازمات " باسل ابن عمتها كان دوما القريب المفضل لابيها ، والصديق الاكثر قربا من شقيقها بارق بالرغم من فارق العمر بينهما . في الايام الاولى للاحتلال جاء يحمل حقيبته الصغيرة وقال (خالة ، عرفت ان خالي لن يغادر المصنع حتى يطمئن ان لا احد يستطيع نهبه كما فعلوا بغيره ، سوف ابقى معكم الى حين عودته) هجر باسل بيته في الوزيرية ، حيث يعيش وحده بعد وفاة والديه وزواج شقيقاته ، وعاش مع بارق في غرفته ، وكان على صمته وعبوسه خير عون لهم ، لم يفارقهم ، وشرح للعائلة انه يفضل السكن في بيت خاله لقربه من عمله في مدينة الطب ، وفي الوقت نفسه يظل قريبا من اسرة خاله لرعايتهم . وها هو اليوم يرافقهم في رحلتهم الى عمان ، ليقود السيارة ويحميهم من مخاطر الطريق ويطمئن على راحتهم واكمال علاج زوجة خاله "[٣٤] ، وبين انتقاله للعيش معهم ومرافقته لهم في رحلة اللاعودة تلك ، شاركهم باسل في كل الاحداث والنكبات التي مرت عليهم ، فكان جزءا رئيسيا من الحدث والمشهد ، داعما ومحتويا ومساندا ، فضلا عن اشرافه على الحالة الصحية لردينة (الام) او لاباء في مرحلة الانهيار التي مرت بها بعد مقتل بارق ، وهذا المشترك لن يقف عند هذا الحد اذا اشترك معهم في بعض الاحداث التي جرت عليه بشكل شخصي ومنها ما جرى من فصله من عمله واضطراره الى مغادرة العراق ، وكان التاريخ القريب يعيد نفسه معه ، وكانه صورة اخرى لردينة الطبيبة التي فصلت وسلبت عيادتها فكان خيار الرحيل هو الخيار المتبقي امامها واستسلامها له بعد كل ما فقدته في هذا البلد . ، اذ نعرف ذلك من خلال ما جاء على لسانه بعد ان التحق بردينة واباء بعمان رفقة زوجته (دينا) ابنة الخالة التي تزوجها فيقول :" لقد اصدروا امر نقلي الى شيخ سعد في العمارة ، وهم يعرفون اني ابن بغداد وعيادتي في بغداد ، رغم اغلاقها ، واعمل منذ اكثر من عشر سنوات في مدينة الطب . وليس في سجلي الوظيفي ما يبرر ابعادي ، خصوصا في هذه الظروف ، قدمت طلبا للأحالة على التقاعد، فرفضوا الطلب. قدمت طلبا لاجازة من دون راتب لمدة سنة ، فوافقوا على شهر واحد . ففهمت انهم يريدون توقيفي عن العمل في مدينة الطب ، بعدما عملوا على اغلاق عيادتي بتهديدي بالقتل)، ضحكت اباء باسى(الحكاية نفسها تكررت مع عدد كبير من الاطباء واساتذة الجامعات .. كأنهم يريدون افراغ البلد من اهله... "[٣٥] ، وتحول باسل من مساند وداعم فقط الى دور المستشار والمشارك باتخاذ القرار ومرجع اباء يوم تحتاج الى اتخاذ قرار بامر ما ، وهو ما كان يقوم به ابوها بالنسبة لها قبل مقتله .

اما (بارق) فلم يكن له مساحة كبيرة في العمل السردي بوصفه شخصية مشاركة ، لمقتله في الجزء الثاني منها، الذي استهلت الصفحة الاولى منه بوصف هذه الشخصية التي اختصرت بانه " كان طالبا مجدا يحترمه الاساتذة ، وودودا متعاونا يحبه الطلبة بمختلف

مراحل دراستهم . يشيع المرح حيثما حل ، ويشجع الزملاء على الاجتهاد في دراستهم . لم يبق الكثير ليتخرج طبيبا "[٣٦] ، الا انه خطف وقتل يوم استلامه لنتيجة تخرجه ذاك ، بعد ان عاصر عددا من الاحداث المتسارعة التي شهدتها هذه العائلة من مقتل الاب وما حل بالام التي ما وصلت الى مرحلة الانهيار والشلل الا بعد مقتله . ، لذا معظم ما جاء من ذكر له انما كان وصفا لطبيعة العلاقة التي كانت تجمعه بأباء ،" صورة بارق تواجه سريرها ، هي اول ما يقابلها حين تفتح عينها حين تستيقظ، واخر ما تراه قبل نومها . لم يكن بارق شقيقها وحسب، بل صديق العمر وتوأم الروح . في كل ذكريات عمرها بارق حاضر فيها ، وبقوة . ضحكاته ، ابتساماته ،غضبه ، حركاته، سكناته، كلها تفهمها اباء وتعرف ما وراءها . يتفاهمان من دون كلمات ، يتبادلان نظرة واحدة ، ثم ينفجران بالضحك في وقت واحد ، ولا يفهم غيرهما ما السر فيها . تكفي نظرة واحدة منه ، لكي تتوقف اباء بغتة ولا تكمل الجملة التي كانت تقولها ، فهي تفهم تحذيره وتدرك ما يريد منها "[٣٧]. لذا شكلت ذكرى بارق وابيها حاجزا نفسيا منع اباء من القدرة على التعايش في هذا المجتمع الجديد ، فان كان الاب قتل على ايديهم ، فان بارق قتل بفعل الفوضى التي احدثوها بعد دخولهم والانفلات الامني الذي حصل بعد ذلك ، وما ابقاءها على صورته امامها لتكون اول ما تراه واخره، الا تذكير دائم على ذلك ، مع الابقاء على ذلك التواصل الروحي الذي جمعها به . وهناك شخصيات اقل حضورا وفاعلية هنا، الا انها يمكن ان تدرج ايضا ضمن الـ(نحن) المشترك لما كان لها من دور وان لم يكن واسعا ، لكن لا يمكن اغفاله ، لان كلا منها شكل عنصر دعم ومساندة في مرحلة من مراحل التحول الذاتي او المكاني التي مرت به الانا ، ومنهم العم عبد الله ، الساعي الذي استطاع الافلات وحده من حصار المعمل او من قبضة الامريكان لكبر عمره وعجزه عن مقاومتهم كما ادعوا فكان ان نقل لهم ما جرى في تلك الايام العصيبة منذ اليوم الاول لحصار المعمل والعم قيس السالم الى اليوم الذي فك الحصار عنهم لكن انتهى باعتقالهم بحجة المقاومة ، وكان قد خصص له قيس السالم غرفة في ذلك المعمل لسكنه ، لذا بعد ان فقد العمل والسكن عرضوا عليه ان يسكن عندهم [٣٨]، وهو هنا ينم عن التبادل الانساني والعاطفي بصرف النظر عن الفوارق الطبقية او الاجتماعية التي تفصل بينهما . ونجد ايضا الدكتور حسين الكاظمي احد معارف العائلة والذي اشرف على فحص جثة قيس السالم ، الذي التمسنا لديه التعاطف مع الضحية وعائلته [٣٩] ، على الرغم مما يدل الاسم عليه من الاختلاف المذهبي ، الا ان المشترك الانساني والمهني ومن ثم الوطني هو القاسم بينهم . اما الجيران ، فكانوا غالبا الكومبارس الصامت اذا لم نجد حوارا او سردا واضحا عنهم باستثناء هرعهم غالبا بعد حلول النكبات للعائلة ، داعمين ومساندين ومتعاطفين ، من دون ان يكون لهم فعل اخر في هذه الرواية[٤٠] . ونجد فئة اخرى داعمة داخل العراق ، وهم

زملاء ردينة وتلامذتها والموظفون الذين ابدوا استعدادهم لأنجاز ما يتطلب انجازه من معاملات واوراق رسمية بغية نقل ردينة للعلاج خارج العراق واستحصال الشهادات الطبية او الجامعية الضرورية لذلك[٤١]. اما خارج العراق اي في عمان فنجد من الاخر الداعم والمشترك شخصيتين رئيسيتين هما العم عمر وزوجته الذين احتضنا اباء وضيفوها في منزلهما الى حين خروج ردينة من المستشفى الذي عولجت بها ، وهما ايضا ممن هاجر ابنائهم بحثا عن مستقبل لهم بعيدا عن بلاد اللا فرص التي يعيشون فيها[٤٢] ، وفي المستشفى نجد الدكتور سعد ، وهو استاذ امها وزميل قديم لها قبل انتقاله للعمل والعيش في عمان ، فكان المشرف على علاجها والداعم النفسي لكل من ردينة واباء الى حين اقتراب تماثلها للشفاء[٤٣] . اما المنحى المختلف والشكل الاخر ممن يقع ضمن منظومة الـ (نحن) ، فهم عدد من الشخصيات هنا ، بعضهم اطلقت عليهم صفات عامة من دون تخصيص او ذكر محدد ، انمى اكتفى السارد او ما جاء على لسان الشخصيات المشاركة من صفات او مسميات ومنهم عصابات التسليب والنهب ، او الانتهازيين والوصوليين ، او ممن تظافروا مع المحتل في اعمام الخراب والدمار على هذا البلد ، من ذلك ما جاء على لسان الاب ، وهو كان اخر حوار معه قبل مقتله :" اتصل هاتفيا ليخبرهم ان الوضع حرج هنا . المعمل مطوق من مجموعات عجيبة غريبة . اكثرهم مسلحون . سمعنا ان عمليات نهب وسلب قد طالت مباني الدولة. سأظل هنا حتى اتأكد من سلامة المعمل)"[٤٤] .او اولئك المتنفذين الوصوليين الذين افادوا من حالة الفوضى التي عمت البلاد ، فعاثوا في الارض فسادا وفرضوا سلطتهم على مؤسسات الدولة وجامعتها ، واصبحوا جزءا من سلطة الفوضى ، فكان اول ضحاياهم كفاءات البلد واساتذته [٤٥] ، ومنهم (منير) الشخصية الابرز ضمن هذا المنحى ، وهو كما اشرنا سابقا زميل اباء ، وجمعته بها عواطف خاصة لم تخضع لمنطق الطبقية او الاختلاف الذي كان بينهما ، الذي اتضحت اولى اشارات هذه الشخصية العدائية المختلفة باطنيا في ذلك الماضي البعيد ، من دون ان يشكل وازعا لادراك هذا الاختلاف ، بوصف الشخصية هنا مازالت ضمن نطاق الانا وليس الذات المدركة القادرة على استكناه الخفايا ومعرفة الابعاد المضمرة، لسطحية التجربة الانسانية التي كانت تتخذها ، هذه الاشارة تتجسد في الحوار الاتي :" ضحكت وشاكسته (وماذا لوكنت انا المتفوقة ؟ غابت البسمة عن عينيه ، وحلت شراسة غريبة محلها) لن تكوني ، انا اعد نفسي لأكون الاول في اخر سنتين . ولن يعود مهما من تفوق في السنوات السابقة . شعرت بشئ من القلق لنبرة صوته ، ونظرة عينيه، لكنها تجاهلت القلق ، ودفنته في ثنايا روحهما ، بعدما غلفته بالوان الحب ، والاعجاب بقوة شخصيته " [٤٦] ، لكن هذا المشهد والحوار لم تعرف ابعاده الا بعد ان ادركت ابعاد وتحولات تلك الشخصية – نعني بها منير – واول تصريح بذلك التحول جاء

حينما سمعت منه لأول مرة كلمة ارهابي حينما اطلقها على والدها في ذلك الاتصال الذي جرى بينهما :" اتصلت بمنير هاتفيا ، ربما لتساله عن موعد معاودة الدراسة ، وربما لتبعث بعض الدفء في اوصالها . رد عليها بفتور لم تعهده . سالته بحزن (الم تتعرف على صوتي يا منير) رد بعنف غير متوقع (بل عرفته فورا .هل حصل شيء؟ هل تحتاجون شيئا ؟) .... رد بغضب (لم اكن اعرف ان والدك ارهابي ، يقود عصابة تحمل السلاح في وجه امريكا .. هل جن ؟ هذه امريكا ، الا يعرف ما هي امريكا ..."[٤٧]. ويتجسد هذا التحول الكبير في هذه الشخصية في موضع اخر ، مما يشكل عند اباء ادراكا للأبعاد الجديدة التي اتخذتها شخصيته ، وفقا لمعطيات التغيير وتكشف الابعاد الحقيقية والمخبوءة لبعض تلك الشخصيات التي يشكل منير انموذجا لها ، ومنها ما جاء في المشهد الردي الذي نجد فيه :" وحين بدأ الدوام ، بحثت عن منير في كل مكان في الجامعة . لكن منير هذا ، اختفى فجأة حين ايقن ان ارتها قد تجلب له الشبهات ، في وقت تصور الابواب قد فتحت على مصراعيها لكي يحقق ما يطمح اليه . سمعت من بعض الزملاء ، ان منير صار من الشخصيات المتنفذة في الجامعة ، ويسير جنبا الى جنب مع اشخاص برزوا فجأة على الاحداث ، وصارت لهم مكانة مرموقة ، بعدما أزاحوا الاساتذة والاداريين القدماء عن مواقعهم . كما سمعت انه صار يتباهى بحمل (الباج) الذي يؤهله للدخول الى المنطقة الدولية ، التي صار الجميع يعرفها باسم المنطقة الخضراء ، والخروج منها . صادفته اكثر من مرة وهو يسير متبخترا ، الى جانب بعض الشخصيات التي تبدو مهمة ، ويسابق رجال حمايتهم ليكون اقرب ما يمكن من هؤلاء . استهجنت خنوعه الواضح ، لكنها لم تشارك في تعليقات الزملاء عن تصرفاته ، خصوصا وانهم يلجأون الى الصمت بدل الخوض في سرته حين تقترب منهم "[٤٨]. لذا شكل خيبة امل اضافية اثقلت قلب هذه الشخصية بأضافة خسارة اخرى الى خساراتها الكثيرة في ظل هذه الاحداث ، بين موت وخيبة وخذلان وضياع وطن واهل وبيت وحبيب [٤٩] . لم تفلح كل ما قدمه لها من تبريرات من تغيير موقفا منه بعد ان التقى بها في عمان التي جاءها بعد ان ادرك زيف ما كان يتصوره او تلاشي ما كان يحلم بتحقيقه في ظل تلك المتغيرات[٥٠] . الا ان كل ذلك يجابه بمكاشفة اباء له بموقفها الرافض له بعد تكشف بواطنه وحقيقة معدنه المزيف ، وهو ادراك الانا وتشكل الذات من هذه الشخصية ، الذي اتضح من ذلك الحوار الذي جاء على لسان اباء حينما صرحت ب:ط اخذت نفسا عميقا وشعرت ان الاوان قد ان لمكاشفته بتغير مشاعرها نحوه ، (حسنا يمكنك ان تشرح لي كل ظروفك يا منير ، لكن عليك ان تعرف قبلها ، ان ما كان بيننا ، او ما تصورنا انه كان بيننا قد انتهى بالنسبة لي .. فانا الان ارى امامي شخصا اكاد لا اعرفه ، شخصا لديه قيم ومعايير لا استطيع التآلف معها او قبولها . لكن من ناحية اخرى انت الان

زميل عمل اعمل معه . ولا فرق بينك وبين اي زميل اخر "[٥١]. هذا التحول في شخصية منير وموقف الذات الرئيسة منها وما استجد من متغيرات فكرية ونفسية في طبيعة العلاقة الرابطة بينهما ، فضلا عن كل الشخصيات الثانوية الاخرى ، التي يمكن ان تعد ضمن منظومة الـ(نحن) هي التي دفعتنا الى ان نفترض ان اشتراك الهوية او القومية وغيرها من المشتركات العامة ، لا يعني بالضرورة تماهي الشخصيات مع بعضها وتشاكلها الى حد التلاحم التام ، اذا ان تلك المشتركات لم تكن الا عنوانات رئيسية لكن المضمون والجزئيات مختلفة بشكل كبير ، مما يمكن ان يشكل اخر معاد ومختلف فكريا على اقل تقدير ، ان لم نقل يصل الى العنف والاقصاء ، وهو ما وجدناه ضمن هذا المنحى الفرعي لمنظومة الـ (نحن).

الاخر ضمن منظومة الـ(هم) : وهو الشائع والتعارف عليه في معظم الدراسات التي تناولت هذا الجانب ، اذ يشكل الاخر عندهم هو ذلك المختلف بالقومية والدين والمعتقد ، اي ما اطلقنا عليه العنوانات الرئيسية ، الذي وجدناه بشكل كبير وواضح في هذا الرواية ، في مختلف المراحل الظرفية والتحولات المكانية ، وفي مختلف الازمان اي في الماضي القريب والحاضر والمستقبل ، واشرنا سابقا اننا سندرس هذا الاخر مستندين الى ما وجدناه في هذه الرواية، على منحيين ، الاول الاخر المحايد، والثاني الاخر العدو ، محاولين استبطان الاسباب النفسية والفكرية التي تشكلت وفقا لها هذه المواقف – الحيادية او العدائية – من قبل الشخصية المركزية المجسدة للانا هنا .

الاخر المحايد : حيادية الاخر هنا لا من مواقفة الحياتية او الظرفية او الفكرية ، انما من حيادية تعاطي الانا معه ، ولا عدائيتها في التعامل مع تلك الشخصيات على الرغم من الاختلافات البينة بينهما ، الا ان هناك دائما مضمرات نفسية او مواقف حياتية وانسانية جعلت الموقف منه اكثر حيادية واكثر تعاطي وسلاسة من دون سواهم ، ومن تلك الشخصيات التي يمكن ان نعدها رئيسة تمثل هذا الجانب هي على سبيل المثال لا الحصر (مسز غيبسون) وهي المرأة العجوز التي كانت تسكن الكوخ المتهاوي الذي اختارته اباء من بين كل الاماكن التي شاهدتها ، وربما سبب اختيار الانا لهذا الكوخ يعود لاحد الامور المضمرة التي حاولنا استبطانها وهي اما لأنه خرب وستعمل على اصلاحه وكأنها بذلك تحاول اصلاح كل الخراب الذي تركه الامريكان في بلادها او اصلاح ذاتها التي تبعثرت وتشظت بفعل ذلك الخراب ، وربما ايضا لان هذا الكوخ يعود لنمط بناء غير امريكي ، اذا نستشف من بعض مقاطع السرد النمط الاوربي عليه ، او ربما بما يوحيه من عدم الاستقرار النهائي واتخاذه مرحلة مؤقتة ومكانا غير دائم لها ، كما كانت قد خططت له يوم قبلت مرغمة على الانتقال الى امريكا[٥٢] . ويتضح اول اشارات تقبل اباء لمسز غيبسون في

طلبها ان تسكن معهما ، اي مع اباء وامها ، ولا سيما بعد ان عرفت انها وحيدة وقد اثقلت الديون كاهلها ، وليس لها احد في هذه البلاد الذي ندركه من خلال هذا الحوار الذي سيجري بين مسز غيبسون واباء :" لم يعد لدي احد . الكل تركني لأموت هنا ، او في دار العجزة الذي ينوي البنك نقلي له عند بيع الكوخ .(وماذا لو اشتريت الكوخ من البنك وسمحت لك بالبقاء فيه ، لتعيشي معي ومع امي .صاحت العجوز ،(مستحيل ، انت تقولين هذا الكلام لأقناعي في البداية ، ثم تسرعين الى نقلي الى دار العجزة). ابتسمت اباء ، ولم تشأ ان تقول لها ان هذه هي اخلاقيات اهل بلدها ، وتذكرت عبد الله الذي عاش معهم بعد اعتقال والدها ، وانتقل للعيش مع دينا وباسل بعد زواجهما . تحسرت على تلك الايام ، وقالت باسى (لا احاول اقناعك بشيء . وكان يمكن لي الطلب من البنك اخلاء الكوخ قبل توقيع عقد الشراء . لكني اريد حقا ان تبقي معنا . انا طالبة في الجامعة وامي مريضة ، واكون اكثر اطمئنانا لو بقي معها شخص قوي الشكيمة مثلك "[٥٣]. ومن الشخصيات المحايدة ايضا مستر ومسز ماكلود من اقارب مسز غيبسون النيوزلنديين[٥٤] ، الذي سيكون له دور كبير في الانتقال الاخير لاباء الى نيوزلندا ، بعد ان كان احد اساتذتها في الجامعة ومشرفا على رسالة الماجستير التي انجزتها ، فادرك امكاناتها العلمية والعملية مما سهل عملية انتقالها وحصولها على عمل بمكتب احد اصدقاءه هناك ، الذي نجد تفصيلات كل هذه المتغيرات المتسارعة في الجزء الخامس عشر ، اي الاخير من هذه الرواية . اما الشخصية التي كانت اكثر تفاعلا معها وقربا منها التي يمكن ان نجعلها ايضا ضمن الاخر المحايد فهو مدرس مادة الرسم (مسيو جاك) ذو الاصول الفرنسية ، الذي نستشف ان قربها منه وتقاربها معه ربما يكون لاحد امرين ، اول بوصفه واسطتها لتحقيق حلمها القديم بتعلم الرسم الذي شغفت به منذ طفولتها من دون ان تسنح الفرصة لمعرفته بشكل عملي واكاديمي ، الا ما تحقق اخيرا على يد هذا الاستاذ الفرنسي الذي تقول له ما ينم عن اصرارها وتمسكها بتحقيق هذه الغاية ، اذ تقول " بل ساكون هنا كل يوم حتى تطردني من مرسمك يا مسيو جاك، فانت اول حلم احققه منذ سنوات "[٥٥] ، والامر الثاني قد يكون لهذه الجنسية التي يحملها او الاصل الذي يعود له وهو الفرنسية ، التي لا تمثل عند اباء جنسية معادية ، وان اختلفت العنوانات الرئيسة بينهما . وبصرف النظر عن الاسباب المعلن منها والمخفي ، الا اننا نجد ازدياد اواصر التقارب الانساني والفني والفكري بين اباء وهذا الاستاذ ، فغدا صديقا مقربا لها ومستشعرا بكل ما عانته هذه الفتاة من مراحل صعبة ، ومتفهما لعدم قدرتها على التواصل مع زملائها او المجتمع الامريكي بصورة عامة ، وكان شاهدا في الوقت نفسه على تفصيلات كثيرة من تلك العلاقة المعقدة والشائكة التي ستجمع اباء بلنكولن ايسوود ، التي سنقف عندها في موضع اخر. في حين نجد شخصيتين بدوا في بداية اللقاء بهما شخصيات

تمثلان انموذجا للأخر المختلف كليا ، ذي المنحى المعادي عند اباء ، وهما اصدقاء امها ، وزميلا الدراسة في دنفر، الزوجين جولي ورالف ، اللذين على الرغم من كل الحفاوة وحسن الاستقبال والضيافة التي ابدوها لهاتين الضيفتين اللاجئتين ، الا ان احساس اباء بالنفور والعداء المبطن هو ما اجتاحها في الايام الاولى ، ونجد ذلك في تلك الاشارات المبثوثة ومنها ما سنقتطفه على سبيل المثال من صفحات متفرقة ، يبين بشكل واضح ما اشرنا اليه :" مدت اباء يدها واجبرت نفسها على مصافحة جولي ، فهي اول امريكي تصافحه (تشرفت بمعرفتك سيدة راسموسن) ...نعم ، لكل شيء ثمن . ترى ما الثمن الذي سيطلبه هؤلاء ازاء الخدمات التي يقدمونها لهم ؟ عاودها النفور من اصدقاء امها ، لكنا كتمت نفورها (لخاطر) امها "[٥٦]. لكن هذه العدائية ازاء جولي وزوجها بدأت تتلاشى شيئا فشيئا ، قد يكون لما أستشعرته من طيبة هذه المرأة وعفويتها وما تضفيه على امها من بهجة وسعادة ، ولا سيما انها عرفتها منذ ايام الدراسة ، اي في الوقت الذي لم يكن الامريكان يشكلون عدوا لهم . فضلا عما قدمه هذان الزوجان من مساعدة ودعم نفسي ، وغيره لهاتين العراقيتين ، بغية توطينهما وتحقيق اسباب عيش مريح لهما في هذا البلد الغريب، وبعد كل ما مرتا به من مصاعب ، لذا :" لم تنقطع زيارات جولي ورالف لهم . وفي كل زيارة منهم يمتلئ الكوخ بالضحك والمزاح . فضلا عن النقاش الجاد "[٥٧].

اما المنحى الثاني، وهو الاهم ، والاكثر فاعلية وتأثيرا فهو ما تمثل بالأخر العدو ، وهذه العدائية متأتية من الاحتكاك المباشر والعنف الجسدي والنفسي ، او من خلال التأثير النفسي والاسقاطات الذاتية ، التي جعلت العدائية هي المتلازمة الشرطية المرتبطة مع كل اخر ، ولا سيما الامريكي ، سواء المتمثل بالجانب العسكري منه ، ام ممن ينتمون لهذه البلد ، بتعميم حالة ان كل امريكي اما ان يكون شارك في غزو العراق او كان داعما له ، لذا تشكلت هذه العدائية في شخصية الانا (اباء) ازاء هذا العدو المحتل ، فنجد اول مظاهر هذه العدائية موجهة الى الجيش الغازي ، ليس فقط لاحتلال بلدها ، انما لكل البشاعات والتقتيل وحالة الفوضى التي احدثوها في البلد ، منها ما يطالعنا منذ الصفحات الاولى للرواية ، حيث طريق الخروج من بغداد الى عمان ، اذ جاء على لسان الراوي السارد :" رعشة هزت ، فهي تعرف كما يعرف الجميع ان من يقترب من اي رتل امريكي سوف يتعرض لأطلاق النار ، وان اعترضت سيارة ما طريق ارتالهم ، ولو سهوا ، فسوف تدوسها سرفات الدبابات من دون رحمة ، وتمر على اجساد من فيها ولا تتوقف "[٥٨]. فضلا عن حالة الترويع والانتهاك التي مارسوها ضد هذه العائلة ، بصرف النظر عن الاب الذي مات جراء تعذيبهم له واذلالهم ، ومن اشكال الترويع والانتهاك هي حالات الاقتحام التي تكررت لأكثر من مرة لمنزل هذه الاسرة ،من ذلك ما نجده من سرد مطول لحالة الاقتحام تلك ، اذ نقرأ : " احست

ردينة بضوء ساطع يخترق نومها ففتحت عينيها ، واذا بها تواجه رجلا ضخما يضع خوذة يعلوها مصباح ، وقد وجه سلاحه الرشاش الى وجهها . صرخت (من انت ؟ ماذا تريد؟) لم يرد عليها . ادارت وجهها حولها واذا بغرفتها مليئة بعدد من الرجال المسلحين . صرخت ثانية . فسحبها احدهم من فراشها ، وجرها الى خارج غرفتها . استيقظ جميع اهل الدار على صراخها ، فهرعوا نحو غرفتها . شاهدوا الجندي يسحلها على ارض الممر وقد تمزق ثوب نومها ، وهي ذاهلة . اسرعت اباء نحوها واحتضنتها في محاولة لحمايتها . فضربها جندي بعقب بندقيته على ظهرها ، فشعرت بتمزق احشائها. صاحت (من انتم ؟ ماذا تريدون ؟) سحلهما الجندي الى الصالة ، كأنه يسحب لعبتين من الخرق . وجاء جندي اخر يسحل دينا . ما كادوا يصلون الى الصالة حتى سمعوا انفجارا اخر من خارج المنزل ، فنظروا الى النوافذ ، واذا بالباب الخارجي يتهشم ، ويتدفق منه عدد كبير من الجنود . اذن ، بيتهم مطوق من جميع الجهات ، لم يتح لهم الوقت للتساؤل . ..."[٥٩]. وأقتطافنا لهذا الجزء من المشهد انما كان لبيان جزءا مما قام به المحتل الامريكي ، والطرق الوحشية التي يتخذونها عن اقتحام المنازل ، بغية البحث عن مطلوب، اوعن اسلحة قد تملكها تلك العوائل، وما يرافق هذا الاقتحام من تكبيل وضرب وتكسير وسرقة محتويات ، كما جرى في منزل قيس السالم[٦٠]. وهو انموذج للطريقة التي مارسها هذا المحتل بشكل يخالف الاعراف الاجتماعية والاخلاقية التي اعتاد عليها ابناء هذا البلد ، فضلا عن الفكرة المسبقة عندهم عن وحشية هذا الاخر، التي ازدادت تأكيدا بعدما عرفت بتفاصيل ما تعرض له الاب في معتقل ابي غريب ، وبانه احد الذين ظهرت صورهم بعد انتشار هذه الفضيحة الاخلاقية وتكشف حقيقة مقتله ، لا كما زعموا وفاته طبيعيا [٦١] ، لذا لم تتوان اباء بمواقف عدة ببيان سبب هذا النفور والعدائية للأمريكان ولوجودها في امريكا مرغمة الى حين استكمال دراستها ، من ذلك ما تخاطب به لنكولن على سبيل المثال لا الحصر ، اذ تقول " بدأت حديثها بهدوء معلق سياسي يظهر على شاشة التلفزيون ، (باختصار ، الجنود الذين ذهبوا الى العراق وغيره ، ذهبوا بمحض ارادتهم . وهناك قتلوا ودمروا وسرقوا ونهبوا . انهم لم يحاربوا جيش العراق ، بل دخلوا من دون قتال تقريبا ، اليس هذا ما يتباهى به قادتكم ؟ من هم الذين قتلهم الجنود اذن ؟ أليسوا جميعا من المدنيين ؟) تصاعدت نبرة العداء والكراهية التي تملأ نفسها ،. هل ستقول لي انهم خدعوهم لكي يرتكبوا كل هذا ؟ لا احد يمكنه خداع او اجبار غيره على ارتكاب القتل والتدمير والسرقة . فعلوا كل ذلك لانهم مجموعة من القتلة واللصوص والمجرمين . وتقول اليوم انهم نادمون ، ويريدون رمي المداليات التي حصلوا عليها ؟) ..." [٦٢] . واستنادا الى هذا الحوار وغيره من الحوارات التي اتخذت المسار نفسه بين لنكولن واباء فضلا عن ردينة ، بدأ البحث بنفسه عن حقيقة الاحداث التي جرت في العراق بعد ذلك

الغزو ، الذي كان مسبقا احد الرافضين له والمعادين لهذه السياسة التي اتخذها بلده ، من منطلق رفض الحروب ، من دون ان يكون له تصور عن كل البشاعات التي ترافقها ، لذا :" ... نسي اباء ، وعشقه لها، وسيطر عليه احساس بالرعب والعار . أهذا ما يفعله شبابهم هناك ؟ يعرف انهم ارتكبوا فظائع كثيرة ، لكن هل تصل السفالة الى هذا الحد ؟ اعاد عرض الفلم اكثر من مرة ، وفي كل مرة يزداد شعوره بالأحباط والغضب ..."[٦٣].

واستنادا الى الموقف السابق للنكولن ولانه احد الشخصيات التي مثلت الاخر العدائي لكن شهد تحولات عدة ولاسيما بعلاقته مع اباء وموقف هذه الذات منه ، وبوصفه شكل احد الدوامات الفكرية والنفسية بالنسبة لها ، فكان احد العوامل المساعدة على الرحيل الاخير لها ، اذا ان دوامتها معه لم تكن دوامة وجود بقدر ما كانت دوامة نفسية بين المفروض والواجب ، بين التمسك بأعراف ومبادئ عاشت بها وانتماء ووفاء لبلد واعراف اجتماعية ودين وارث ثقافي وحضاري تمتد جذوره في اللاوعي ، من جهة ، ومن جهة اخرى مشاعر انسانية وعاطفية تبحث عن الاستقرار والتكيف والتعايش ، والمضي بحياة بعيدة عن كل تلك الصراعات والازمات ، وان اضطرتها الى التخلي ولو جزئيا عن بعض تلك التكبيلات، التي تشكل الهوية الذاتية لأباء بوصفها انموذجا وليس فقط على المستوى الشخصي الفردي لها . لذا اثرنا ان نترك المساحة الاخيرة من هذا البحث لهذه الشخصية التي ستشكل المفتاح الرئيس في تحول الانا وتمكنها في النهاية من تغليب الجانب الانساني المتسامي عن كل تلك الهويات ، لتحقيق ذات اخرى يغلب فيها هذا الجانب ، بوصفه الهوية الاهم التي لا تعترف بوجود اخر مختلف ، ما دامت الانسانية هي الهوية المشتركة والموحدة لكل تلك الأنات . لينكولن ايستوود ، هو زميل اباء في الكلية ، الاخر المختلف كليا في التصور الاول الذي شكلته اباء ازاءه ، المبني مسبقا على تعميم هذه الرؤية على كل من ينتمي الى هذا المجتمع ، فضلا عن التصور والانطباع الاول الذي تشكل لديها من عبثية هذه الشخصية ولهوه ولا مبالاته فيما يتصل بدراسته ، لكن ستلفت انتباهه بصوتها ومشاركتها في المحاضرات وان كانت متحفظة ومقلة في تلك المشاركات الا ما تجده ضروريا ، لذا سيعمل على الاقتراب منها تدريجيا بغية اكتشاف هذه الشخصية الغريبة عنه وعن مجتمعه ، والمختلفة عن كل من يعرفه شكلا ومضمونا ، الا انه سيجابه ببرود وتحفظ واحيانا تجاهل ، لكن سيحاول اذابة هذا كله بالتدريج[٦٤] ، مما سيحقق تغيرا تدريجيا في تلك الذات ، وهذا لا يعني اننا سنجد تحولات جذرية في شخصية اباء بفعل اقتراب لينكولن منها – ولاسيما في المراحل الاولى من تعارفها به – انما سيتحقق تغيرا بسيط يتمثل في التقليل من اظهار العدائية والنفور، ستتضح ملامحه في تلك الاشارات الاولى ، ومنها :" بعد المحاضرة اقترب لينك منها ، فضحكت بارتباك (ليس لدي تسجيل لمحاضرة اليوم ، لكن

يمكنني ان اعطيك نسخة من العرض) . هذه اول مرة يسمع ضحكتها ، وراقته (بل انا لدي تسجيل كامل لمحاضرة اليوم)"[٦٥] ، ويبدو من هذا الجزء ان التأثيرات متبادلة بين هاتين الشخصيتين ، اذا من انفتاح وان كان خجولا على الاخر من قبل اباء ، الى تحول بسيط لم نلحظ جذريته وعمقه بعد في شخصية لينكولن ، الطالب المهمل ، الذي اتخذ من طلبه للمحاضرات المسجلة من قبل اباء وسيلة للتقرب منها ، الى اهتمام من قبله بتسجيل تلك المحاضرات ، ولا سيما ان من قدمها هي اباء نفسها ، لكن الامر يبدو اشارة ايضا لتحول في هذه الشخصية من اللامبالاة على المستوى الدراسي على اقل تقدير ، الى اكثر اهتماما وتفاعلا ، وسنجد في الصفحة التالية اولى الاشارات ايضا لتحرك وان كان بسيطا وغير مسبوق وغير مفهوم الى حد ما لمشاعر اباء ازاء هذا الطالب ، وذلك من خلال تلهفها لحضوره مع بقية الزملاء لمعاينة التغييرات التي اجرتها على الكوخ القديم ، الذي اتخذته منزلا لها – كما اشرنا سابقا – :" وصلت الحافلة وكان ماكلود اول من نزل منها ، بهيبته الودود . تلاه بقية الطلبة . تعمد لينك التأخر عن البقية ليتسنى له الوقت ليمتع نظره برؤيتها . تسارع نبض اباء وهي تترقب لينك ايستوود ، لكنها لم تره ، اذ انشغلت بتحية ماكلود ،... استغل انشغالها بتحية ماكلود ، فاقترب منها ، فاجأها بالهمس قريبا منها بنبرة مزاح ،(يبدو ان ماكلود قد صادقهم بدوره ، فهو يتصرف كأنهم اصدقاء قدماء) . هبت نسمة ريح ، حركت اغصان الشجر، فاحست اباء ان الدنيا ترقص فرحا لمقدمه ، فضحكت لتخفي ارتباكها وسعادتها برؤيته. ضحكتها رقراقة كأنها لحن موسيقي "[٦٦]. نلحظ هنا اكثر من اشارة ، بعضها صريح والاخر مضمن ، تمثلت الاشارات الصريحة بحالة الترقب لمقدمة وارتباكها وضحكتها الرقراقة ، اما المضمنة التي استعار لها السارد فهي هبوب نسمات الهواء التي حركت الاغصان ، وكانه هبوب لريح التغيير وتحريك جوامد العواطف التي اختارت اباء ان تسكنها طوعا او كرها . ولكي يتقرب لينكولن من اباء اكثر ولاسيما بعد ان عرف ان السيدة العربية هي امها ، لذا عمل في هذا اليوم وما تلاه على توطيد علاقة الصداقة معها ، لتكون وسيلته لمعرفة اباء اكثر واستكناه هذه الشخصية الغريبة لديه والمختلفة عمن عرفهم سابقا [٦٧] ، لكن اباء ستدخل بعد ذلك في حالة تشتت واضطراب نفسي بفعل هذه المشاعر التي تكنها لهذا الزميل الامريكي ، على الرغم من معرفتها بوقت لاحق انه كندي الاصل، ومعارض ورافض للحرب التي قامت بها بلاده ضد العراق ، لكن هذا لا يجدي امام اختلافات كثيرة اخرى ، وعنوانا اساسية تشكل مجتمعة الهوية المركزية المتعدد لهذه الذات المدركة لكل تلك الاختلافات ، منها ما اشارت اليه :" لو كان عراقيا ، او عربيا ، او حتى مسلما . لربما كان ثمة احتمال ان لا تصارع مشاعرها ، لكنه يختلف عنها جذريا . وكل موانع الارض تقف بينهما ، ولا يمكن تجاوزها . ضحكت اباء بسخرية .

مرة اخرى ، اعيش قصة حب تنتهي قبل ان تبدا . ربما هذا هو قدري "[٦٨] ومن هذا النص نقف بشكل صريح على امرين اساسيين ، الاول هي الموانع الجذرية التي تجعل منه اخر مختلف كليا عنها ، والامر الثاني هو ادراك الذات واعترافها صراحة لأول مرة بمشاعر الحب التي تكنها له ، لكنها خلقت نوعا من المقارنة مع التجربة الاولى التي جمعتها بمنير ، الاخر المختلف بشكل جزئي ، واختلافه لم يقع ضمن تلك الموانع ، انما لاختلاف التركيب الفكري والنفسي ومن ثم الموقف الحياتي الذي اتخذه وتبناه كلا منهما ، ما جعل منه ذلك الاخر المختلف وان انضوى تحت العنوانات الرئيسية التي اشرنا اليها .

فنجد فيما بعد تحولا في شخصية الاخر لينك من حالة الفضول والرغبة في معرفة هذه الذات المختلفة عنه وعن كل المحيط الذي وجدت فيه مرغمة ، تحول بفعل كل ما جمعه عنها وعرفه من امها وما بينته احيانا من خلال حواراتهما ، تحول الى ذات مدركة للابعاد النفسية والازمات التي شكلت هذه الشخصية واكسبتها ذاتا مختلفة ، جعلته اكثر اصرار وتبنيا للمواقف السياسية المعارضة لساسة حكومته ، فضلا عن ذلك اكثر رغبة في التقرب من اباء تعاطفا وتأثرا ورغبة في مد يد العون لها :" ظل لينك ايستوود جالسا على الارض محني الراس ، يفكر بمأساة هذه الفتاة الرائعة ، وما يمكنه القيام به لكي يخفف عنها بعض حزنها الدفين . ندم على مقارنتها ببقية الفتيات ممن يعرف ، فهي تختلف عنهن جذريا . لو استطاع اقناعها بالتحدث معه ، لربما ، لربما ساعدها ذلك على تفريغ ما تكبته من مشاعر ، لتعيش بقية حياتها بصورة طبيعية ، بدل البقاء سجينة وحدتها التي من المؤكد انها تسمم حياتها . تمنى لو استطاع ان ينشر الابتسامة على وجهها ، تمنى لو وقف الى جوارها ليواجها مصاعب الحياة معا " [٦٩] . وهنا نلحظ امورا عدة ، منها التعاطف والرغبة بالمساعدة ، فضلا عن التفاعل والمشاركة والرغبة بان يكون جزءا من حياة اباء القادمة من خلال استخدامه للفظة (معا) . ويتمكن بعد محاولات عدة وسعي حثيث وحذر الى ان يجعل اباء اكثر انفتاحا ومصارحة في حوارها معه ، الذي جاء كثير منه مبينا سبب هذه العدائية والشعور بعدم الانتماء الى هذا المكان والنفرة منه ، من تلك الحوارت على سبيل المثال نقرأ :" صفنت مدة وانتشر الحزن في عينيها (اسباب غضبي لا تقتصر على بغضي لما فعلته الولايات المتحدة لبلدي وتدميره ..) اخذت نفسا عميقا واردفت، (الوجه الاخر للمشكلة تكمن في اختلافي الجذري عن مجتمعكم ، ورفضي لهذا المجتمع الذي اجبرتني مفوضية اللاجئين على الانضمام اليه) تنهدت بعمق (انا ارى وجوه جنود الاحتلال في كل الوجوه حولي هنا .. قيادتهم المتهورة للسيارات تذكرني باستهتارهم المدمر في شوارع بغداد ، ونبرات اصواتهم تذكرني بصراخهم المذعور ، صورتهم لا تفارق خيالي وهم يسحلون امي من غرفة نومها وقد تمزق ثوب نومها . صورتهم امامي وهم يضربون اخي ويكبلونه بالأغلال امام اعيننا ، ثم

يجرونه بعيدا عنا ..) نظرت اليه بحزن (هل تستطيع ان تفهم كل هذا) . هز رأسه باسى (افهمه ،لكننا لسنا جميعا قتلة ومجرمون ، في كل مجتمع يوجد الطيبون والسيئون..٩ (صحيح ما تقوله ، لكن يصعب علي العيش في مجتمعكم ..)"[٧٠]. وسؤالها الأخير هل تستطيع ان تفهمني ، انما جاء لتصورها او ادراكها ان ما ادركته هذه الذات اي اباء من الصعب ان يدركه لنكولن ، لان درجة الادراك تحتاج الى عيش التجربة وخوضها ومعرفة الابعاد الفكرية والنفسية المترتبة عليها ، وهذا لا يتحقق بسهولة من نقل الصورة فقط ، لأنه لن يصل الى العمق الذي يحقق معه الذات المدركة وفقا لمفهومنا لماهية الذات ، التي هي باختصار درجة اعمق واكثر ادراكا ووعيا بالمرحلة التاريخية والفكرية والنفسية المستندة الى تجارب حياتية فرضت ذلك الوعي وحققته .

ومنحى اخر مدرك من قبل اباء ويشكل اختلافا اخر بينهما هو التقاليد والاعراف ، التي جاء قسما منها بفعل التمسك الديني والالتزام بتعاليم الاسلام ، منها ما اتضح ايضا بحوارهما المتعلق بطبيعة علاقة لنكولن بوالديه الذي جاء به :" (الم تحاول مصالحة والدك ؟) هز رأسه بعناد (كلا .. لا يحق له في التجاوز على حريتي) ابتسمت بحزن (هذا بعض من اختلاف تقاليدنا عنكم ، فللوالدين حق على ابنائهم ..) نظر اليها باستغراب (حتى لو تجاوزوا حدود حريتكم الشخصية ؟) (حتى لو تجاوزوا على حريتنا الشخصية ، كما تسميها ، ...."[٧١] وبعدها تذكر له الآية الكريمة التي اوصى الله بها بالوالدين وحث فيها على طاعتهما وخفض جناح الذل لهما . وهنا ستفتح بابا جديدا للينك وهو الاستزادة تدريجيا من معرفة تعاليم هذا الدين ، الى الحد الذي يطلب به من اباء النسخة المترجمة التي لديها من القران الكريم ، بعد ان تحدثا عن الديانتين المسيحة والاسلامية وكيف كانت تجمعهم في بغداد صداقة مع العوائل المسيحية ، ويتشاركون الاعياد والهدايا ، مع احتفاظ كلا منهما بخصوصية دينه والتزامه به ، من دون ان يشكل ذلك دافعا للخلاف او العداء[٧٢] . لتبدأ فيما بعد بعض ملامح التغيير والتحول في شخصية لنكولن ابتداء من ترديده للازمة اباء المشهورة (ان شاء الله) التي وجدت امه ابنها يكررها واطلقت عليها تعويذة اباء[٧٣] ، وصولا الى ذلك الحوار الذي حصل مع ابيه وفيه تصريح واضح في ميوله الدينية واعتقاده اليقيني بمفاهيم جديدة توحي بأدراكه الواضح للتقارب الديني والفكري مع تلك التي تحملها اباء ، وستكون مفتاحا فيما بعد لحث الاب على قراءة ذلك الكتاب – القران الكريم – ومعرفة ما فيه من افكار وتعاليم ، لتأثره بالحديث الذي جرى بينهما اولا ، ولمعرفة ما ضمه من افكار استطاعت ان تغير شكل العلاقة بينهما ، ولاسيما اذا ما عرفنا انه الحوار الاول المطول والحميم بين الاب وابنه بعد سنوات طويلة من الجفاء والابتعاد ، اذا جاء في هذا الحوار ما نصه :" بدا مرتاحا فتجرأ ابوه وسأل (هل عثرت عليها) ربت لينك على كتف ابيه (بل عثرت

على الخيط الذي ربما يوصلني اليها ..) نظر في عيني ابيه (ان شاء الله) "[٧٤] . وقد تكون هذه النظرة الاخيرة لمعرفة ردة فعل الاب ازاء هذه الجملة الاخيرة ، التي ستكون منطلقه لما سيعقب من حوار:" اطلق مستر ايستوود ضحكة مدوية (هلا شرحت لي سر هذه التعويذة ؟) وشرح له لينك معناها . فكر مستر ايستوود طويلا ثم غمغم ٠ مع كل القوة الكامنة في هذه الفتاة ، الا انها تستعين بربها في كل خطوة . كثيرا سمعتها ترددها ..) اجلسه لينك الى جواره على الاريكة ، وقال ٠ بل سر قوتها انها تستعين بالله في كل خطوة ..) نظر في عيني ابيه (ارجوك يا ابي ، لا تقل (ربها) فربنا واحد ..)، قاطعه ابوه (بل هم يعبدون ربا اسمه الله..) لم ينتظر لينك فقال (ونحن نسميه God ، والفرنسيون يسمونه Dieu ، والالمان GOT، وهكذا ، في كل لغة تختلف التسمية ، لكن ربنا واحد ، ان كنا نؤمن بوحدانية الله .) اثار الحديث فضول مستر ايستوود (هل تعني ان المسلمين يعبدون الرب نفسه الذي نعبده ؟) ...."[٧٥] . وهكذا يستمر الحديث بينهما من دون اطالة وصولا الى طلب الاب من ابنه نسخة هذا الكتاب ليعرف ما جاء به ووعده بانه سيهديه نسخة مترجمة منه بالعام الجديد. وكانه بذلك اشارة لعام جديد بمفاهيم وقيم واعتقادات جديدة ، تؤمن بتحقق تقارب ديني اولا وفهم الاخر والبحث عن المشتركات ، لا الايمان باختلافات ان بحثنا عنها سنجدها متوارثات واعتقادات مسبقة واحكام ، بنيت على الشائع لا على المعرفة والقراءة والفهم . وما تحقق في ختام هذه الرواية من تقارب بين الشخصيتين (انا) اباء والاخر (لينكولن) ، انما يدل على امكانية التواصل والتقارب مع ذلك الاخر، لأسباب عدة ، منها البحث عن المشتركات الجامعة لا فقط الاختلافات والتركيز عليها، فضلا عن مشترك الهوية الانسانية التي اثيرت هنا وجعلت سببا لتحقيق شرعية ذلك التقارب العاطفي بين الانا والاخر المختلفين من جهة ، وللوصول الى السلام النفسي في التعاطي مع ذلك الاخر وقبوله، وهو انموذج لما يمكن ان يتحقق على المستوى العام ان بحثنا عن المشتركات وعززنا من دون احكام مسبقة تعزز الهوة وتدفع نحو التخندق والالتفاف حول هويات فرعية ، عدت عن الكثيرين عنوانات رئيسية تعزز مفهوم التكتلات المجتمعية المنغلقة ازاء الاخر المختلف .

الهوامش :

١. مقال من النت : الانا والاخر في رواية موسم الهجرة الى الشمال بقلم محمد هيبي www. Aljazeera.net

٢. تمثلات الانا والاخر في رواية ظل الشمس لطالب الرفاعي ، عفاف البطانية ، مجلة فصول العدد ٧٥) ،٢٠٠٩ ، ص ١٩٣

٣. المصدر نفسه والصفحة نفسها

٤. رواية العنف ، دراسة سوسيو نصية في الرواية العراقية ما بعد التغيير ، الدكتور باسم صالح حميد ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ط١ ،٢٠١٦ ،ص ٩٢ .

٥. ينظر الرواية ص ٢٢ و ٥٤

٦. الرواية ص١٦
٧. الرواية ص ٦٨
٨. مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ، أ .د. حفناوي بعلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم . ناشرون ، بيروت ١٠٠٧ ص: ٦١ . نقلا عن رواية العنف دراسة سوسيو نصية . ص: ٢٤
٩. الرواية ص ١٤
١٠. ينظر الرواية ص ١٩ –٢١
١١. ينظر الرواية ص ٤٤–٤٨
١٢. الرواية ص٧
١٣. الرواية ص ٣٥
١٤. الرواية ص ٤١٣
١٥. الرواية ص ٤٥٨
١٦. مجلة فصول ، تمثلات الانا والاخر في رواية ظل الشمس لطالب الرفاعي ص١٩٣
١٧. المصدر نفسه والصفحة نفسها
١٨. مقال من النت بعنوان : حوار مع سعيد يقطين www.Aljazeera.net
١٩. مقال من النت : رواية النكبة وسياسة الصدمة . مصطفى قصقصي .www.qadita.net\feetured
٢٠. ينظر :سمات الشخصية وعلاقتها بأساليب مواجهة أزمة الهوية لدى طلاب المرحلة الثانوية والجامعية .د. محمد السيد عبد الرحمن، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨زص ٤٨–٥٢
٢١. الرواية ص١٤
٢٢. الرواية ص ١٤
٢٣. الرواية ص١٥
٢٤. الهوية والعنف ، وهم المصير الحتمي ، اماراتيا صن ، ترجمة سحر توفيق ، سلسلة عالم المعرفة ، (٣٢٥) ، الكويت ، ٢٠٠٨،ص١٨
٢٥. الرواية ص١٣–١٤
٢٦. الرواية ص ١٤
٢٧. الرواية ص ١٨٣
٢٨. الرواية ص ١٩٢–١٩٣
٢٩. ينظر : دراسات في الصحة النفسية (الهوية والاغتراب ، والاضطرابات النفسية) د. عادل عبد الله محمد ، دار الرشاد للنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط١،٢٠٠٠،ص١٦
٣٠. الرواية ص ٤٢٥
٣١. الرواية ص ٤٥٥
٣٢. الرواية ص ٤٤٨
٣٣. الرواية ص ٣٥٣
٣٤. الرواية ص١٢–١٣
٣٥. الرواية ص ١٣٣
٣٦. الرواية ص ٣٥
٣٧. الرواية ص١٢٩–١٣٠
٣٨. ينظر الرواية ص١٩
٣٩. ينظر الرواية ص٤٥–٤٧

٤٠. ينظر ص ٢٤و ٤٥
٤١. ينظر الرواية ص: ٦٧-٧٠
٤٢. .ينظر الرواية ص ٦٦ و ٩٢
٤٣. ينظر على سبيل المثال ص ٧٨
٤٤. الرواية ص ١٧. وينظر ايضا ص ١٩و ٣٩ و ٥٥ و ٥٧
٤٥. ينظر ص ٣١ و ٣٧
٤٦. الرواية ص ١٥
٤٧. الرواية ص ١٨
٤٨. الرواية ص ٣١
٤٩. للتفصيل ينظر ص ١٢٣و ١٤٦
٥٠. ينظر ص ١٤٠- ١٤٤
٥١. الرواية ص ١٤٣
٥٢. ينظر الرواية ص ١٧٥- ١٨١
٥٣. الرواية ص ١٧٩
٥٤. ينظر الرواية ص١٨٦-١٨٨
٥٥. الرواية ص ٢٤٤
٥٦. الرواية ص ١٦٤و ١٦٦
٥٧. الرواية ص ٢١٢
٥٨. الرواية ص ١٢
٥٩. الرواية ص ٢٢-٢٣
٦٠. لاستكمال تفاصيل هذا المشهد ينظر ص ٢٣- ٢٦
٦١. ينظر الرواية ص ١٤٧-١٤٨
٦٢. ا لرواية ص٢٣٥ وينظر ايضا ص٢٦٤- ٢٦٥
٦٣. الرواية ص ٢٤٨
٦٤. ينظر الرواية ص ١٩٢- ٢٠١
٦٥. الرواية ٢٠١
٦٦. الرواية ص ٢٠٢
٦٧. ينظر الرواية ص ٢٠٤-٢٠٥و ٢١١
٦٨. الرواية ص ٢٣٨
٦٩. الرواية ص ٢٣٨-٢٣٩
٧٠. الرواية ص ٢٩٧-٢٩٨
٧١. الرواية ص ٣٠٢-٣٠٣
٧٢. ينظر الرواية ص ٣١٧-٣١٨
٧٣. ينظر الرواية ص ٤٢٩
٧٤. الرواية ص ٤٣٧
٧٥. الرواية ص ٤٣٧- ٤٣٨